مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn :2773-3947
المجلد: الخامس * العـدد: الثالث* ص : 32- 54

مظاهر عناية المدارس القرآنية الجزائرية بالرسم العثماني وأثره على التعليم القرآني

Manifestations of the interest of Algerian Koranic schools in Ottoman painting and its impact on Koranic education

السعدي كحلول [1]

[1] جامعة وهران1 (الجزائر)، Saadi.kahloul@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023 /05/07 تاريخ القبول:2023/05/11 تاريخ النشر:2023/09/20

ملخص:

تحتل المدارس القرآنية منزلة مرموقة في المجتمع الجزائري وذلك لما قامت به -ولا تزال- من دور هام في التعليم القرآني للنشء وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة والعمل الصالح وتكوينهم علميا وشرعيا، وهي بذلك تحافظ على الهوية الثقافية للمجتمع، ومن ذلك محافظتها على سنة الرسم العثماني من خلال تعليمه في مدارسها القرآنية في إطار التكتيب والتصحيح وتحفيظ متون الرسم وتدريسها، وإنشاء الأنظام والرموز لضبطه، وقد كان لهذا الاهتمام بهذا العلم أثره في تعلم الخط والكتابة واتقان المحفوظ من القرآن، وأيضا في معرفة واتقان التجويد والقراءات، والوقوف على المعاني القرآنية الدقيقة والنكت اللطيفة.

كلمات مفتاحية : المدرسة القرآنية، الكتاتيب، الرسم العثماني، المصحف، القراءات.

Abstract:

Qur'anic schools occupy a prominent position in society because they have played - and still are - an important role in the Qur'anic education for young people, their upbringing on virtuous morals and good deeds, and their formation scientifically and legally. Within the framework of scribing, correcting, memorizing and teaching the text of the drawing, and the systems and symbols to control it, the interest in this science was its impact on learning calligraphy and writing, mastering and reciting the Qur'an, as

well as knowing and mastering the intonation and readings, and standing on the precise and subtle Quranic meanings.

Keywords: : the Qur'anic school, the kotatib, the Ottoman drawing, the Qur'an, the readings.

[1] **المؤلف المرسل**: السعدي كحلول ،**kahloul@gmail.com**

1. مقدمة:

ارتبطت المدارس القرآنية في الجزائر بثوابت الأمة والهوية الوطنية، والتي سعى الاحتلال الفرنسي إلى تغييرها بما أوتي من قوة، حيث يؤكد المنظّرون الاستعماريون أن الإسلام واللغة العربية هما ركيزتا الشخصية الوطنية والحفاظ على تماسك البلد ووحدته.

وقد كان القرآن الكريم أساس هذه الهوية ومرتكزها الانتمائي والسلوكي؛ حيث ركّزت المدارس القرآنية على تحفيظ القرآن الكريم وتلقين العلوم المرتبطة به، وترسيخ قيمه الأخلاقية والسلوكية والعقائدية، والتي كان لها أثرها على بناء الشخصية الوطنية والثبات عليها والاعتزاز بها.

ومن العلوم التي اهتمت بها المدرسة القرآنية الجزائرية والتي ارتبطت بتحفيظ القرآن الكريم تلقين وتعليم الرسم العثماني، سواء عن طريق التكتيب، أو التصحيح، أو الأنصاص، أو الرموز، أو متون الرّسم.

ولا يخفى ما لعلم الرسم من أهمية وفائدة، إذ تعتبر موافقة الرسم العثماني كشرط في القراءة الصحيحة، وضبط هجاء المصاحف، كما له أثره في معرفة اختلاف القراء في بعض الأحرف، وأيضا على القراءة، كما له دوره في المحافظة على سنة تلقي القرآن من أفواه المعلمين.

ومن هنا ظهرت أهمية هذا البحث وبرزت إشكاليته كالآتي:

ما مظاهر عناية المدارس القرآنية الجزائرية بالرسم العثماني؟ وما أثر هذه العناية على التعليم القرآني؟

وللإجابة على هذه إشكالية وتحقيق أهداف هذا البحث قسّمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الرسم والمدارس القرآنية وأهميتهما(بيان مصطلحات العنوان)

المطلب الثاني: مظاهر عناية المدارس القرآنية بالرسم العثماني.

والمطلب الثالث: أثر العناية بالرسم العثماني على التعليم القرآني.

وهذه الورقة البحثية والتي هي بعنوان:" **مظاهر عناية المدارس القرآنية الجزائرية بالرسم العثماني وأثره على التعليم القرآني** " أتقدم بها إلى الملتقى الوطني بعنوان:" **دور المدارس القرآنية في الحفاظ**

على الرسم العثماني "، متمنيا للقائمين عليه كل التوفيق والسداد في تنشيط البحث العلمي وخدمة التعليم القرآني.

2 . مفهوم الرسم والمدارس القرآنية وأهميتهما

قبل الشروع في صلب الموضوع في بيان مظاهر عناية المدارس القرآنية بالرسم العثماني؛ يحسن أن نعرف بالرسم العثماني والمدارس القرآنية، وقد قيل" الحكم عن الشيء فرع عن تصوره.

1.2 علم الرسم تعريفه ونشأته وفوائده

عرفت اللغة العربية عددا من الكلمات الدالة على استعمال القلم في رسم الحروف، أشهرها: الكتابة، والهجاء، والرسم، والخط، واستُعلمت هذه الألفاظ بمعان مترادفة، كما اختص بعضها بدلالة معينة في بعض العصور.

وما تعلق بكتابة المصحف؛ فقد كان في الأول يطلقون لفظ الهجاء عليه؛ ككتاب" هجاء المصاحف" ليحي الحارث الذماري(ت145هـ)، والتهجي القراءة، ويطلق أيضا على الشتم بالشعر، ولعل لأجل هذا الإطلاق الثاني تحوّل علماء الرسم عن هذا الاصطلاح إلى كلمة الرسم وما اشتق منها، على نحو ما فعل الداني في كتابه" المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار.

والرّسم في اللغة: الأثر، ومنه مرسوم الديار وهي آثارها، ورسم على كذا يرسم: كتب، (أحمد بن فارس، 1979، صفحة 132)والمراد: أثر الكتابة في اللفظ، وشاع في العصور المتأخرة استعمال هذه اللفظة للدلالة على رسم المصحف والكتب المؤلفة فيه.

وإذا كان مصطلح الرسم قد صار علما على علم كتابة المصحف، فإنه ظل يستعمل أيضا للدلالة على قواعد الكتابة التي وضعها علماء العربية، وصار الرسم ينقسم إلى قسمين: (محمد الزوبعي، 2010، صفحة 96)

الأول: الرسم القياسي؛ وهو ما طابق فيه الخط اللفظ.

والثاني: الرسم الاصطلاحي؛ ويقال له الرسم العثماني، وهو ما كتبه الصحابة في المصاحف، وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي.

ونسبته إلى عثمان لأنه وقع في زمنه وبأمر منه وموافقته.

وأما علم الرسم فيعرّفه علماء الفن بأنه علم يعرف به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم، من حذف وزيادة وبدل وفصل ووصل، ونحو ذلك. (رضوان بن محمد المخللاتي، 2007، صفحة 68)

وهذا الاختلاف وقع في ستة أمور يُطلق عليها ظواهر أو قواعد الرسم العثماني؛ وتتمثّل في: الزيادة، والحذف، والهمز، والفصل والوصل، والبدل، وما جاء على قراءتين ورُسم على إحداهما. (محمد الشنقيطي، 1972، صفحة 42)

2.2 نشأة علم الرسم

ترتبط نشأة علم الرسم بظهور الكتابة العربية، وما كُتب من القرآن بين يدي النبي، ولم يجمعه النبي في مصحف واحد لما كان يرتقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، (السيوطي، صفحة 75) وفي عهد الخليفة أبي بكر(ت13هـ) دعت الحاجة إلى جمعه بسبب واقعة اليمامة في حروب الردة حيث مات كثير من القراء، وقد كان لكثير من الصحابة مصاحف، وفي خلافة عثمان بن عفان(ت35هـ) وبسبب الاختلاف بين القراء الذي بلغ حدّ الشقاق؛ قام عثمان وبتكليف لجنة علمية من توحيد الناس على مصحف واحد ورسم مخصوص يستوعب القراءات الثابتة عن رسول الله في العرضة الأخيرة، وكان ذلك أصل الصحف التي جمعها أبو بكر وآلت إلى حفصة وبنى عليه عثمان المصحف الإمام، وأرسل إلى كل أفق بمصحف وقارئ يعلم الناس على ما يوافق المصحف المرسل، وكان عددها أربعة مصاحف، وأمر الناس بإتلاف ما خالف هذه المصاحف، ومن ثّم نسب إليه وسمّي: الرسم العثماني. (عبد الله بن أبي داود، 2002، صفحة 193)

وقد كان الرسم وسيلة لحفظ القراءات الثابتة النقل، ولم يكن لتلك الوجوه المختلفة إلا سببا واحدا ومصدرا واحدا وهو التلقي عن النبي .

ولأجل هذا كان رسم المصحف موضع عناية واهتمام من العلماء والباحثين؛ منذ عصر التدوين للعلوم الإسلامية إلى اليوم، فاستنبطوا مبادئ الرسم وقعّدوا له القواعد، وقارنوا بين المصاحف العثمانية وبيّنوا أوجه الاتفاق والاختلاف، فكثرت المؤلفات في وصف رسم المصحف وعلله، كما ألّفت كتب أخرى في النقط والشكل والوقوف، وقد اصطلح على هذا بعلم الضبط.

وأشهر هذه المؤلفات: المقنع في رسم مصاحف الأمصار للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت444هـ)، عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل لأبي العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المعروف بابن البناء المراكش(ت721هـ)، عمدة البيان فر رسم القرآن لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشي المشهور بالخرّاز(ت718هـ)، منظمة مورد الضمآن للخرّاز، وشرحها فتح المنان في شرح مورد الظّمآن لابن عاشر الأندلسي(ت1040هـ)، وكذا المارغنّي التونسي(ت13490هـ) في كتابه: دليل

الحيران في شرح مورد الضمآن، وأرجوزة" اللؤلؤ المنظوم في ذكر جملة المرسوم للشيخ محمد بن أحمد المتولي(ت1313هـ)، وشرحها لابن خلف الحسيني(ت1342هـ)، في كتابه: الرحيق المختوم في شرح اللؤلؤ المنظوم، إيقاظ الأعلام لوجوب اتّباع المصحف الإمام لمحمد حبيب الله الشنقيطي(ت1363هـ)، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين لعلي محمد الضباع(ت1376هـ).

وقد اعتمد العلماء الأوائل في مؤلفاتهم على المصاحف العثمانية والتي نُقلت منها أو كانت قريبة العهد إليها، قال حمزة بن حبيب الزيات:" نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري"، وقال نافع بن أبي نعيم(ت169):" أرسل إليّ بعض الخلفاء مصحف عثمان لأصلحه"، وقال عاصم الجحدري(ت128هـ):" رأيت في مصحف عثمان.."، وقال أبو عبيد(ت224هـ):" رأيت في الإمام مصحف عثمان، استخرج لي من بعض خزائن الأمراء"، وقال:" تتبعت رسمه في المصاحف"، والنصوص في هذا كثيرة. (الذهبي، 1995، صفحة 245)

3.2 أهمية وفوائد علم الرسم

إن هذا الاهتمام من العلماء بعلم الرسم يدل على أهميته ومكانته؛ ذلك لارتباطه بعصر تنزيل القرآن، وجمعه في صحف منظمة وتوزيع نسخه على الأمصار الإسلامية.

وعلم الرسم علم جليل شريف لتعلقه بكتاب الله، إذ به تحفظ المصاحف الكريمة من مخالفة الرسم الإمام الذي كتبه الصحابة؛ كما له فوائد أخرى للمتخصصين في علوم القرآن وحفاظه وقرائه؛ ومن تلك الفوائد:

1. أن به تتميّز القراءة الصحيحة من الشاذة؛ لأن موافقة القراءة للرسم يعتبر ركنا من أركان القراءة الصحيحة.

قال أبو عبيد القاسم بن سلاّم:" وإنما نرى القراء عرضوا القراءة على أهل المعرفة بها تمسكوا بما علموا منها مخافة أن يزيغوا عما بين اللوحين بزيادة أو نقصان، ولهذا تركوا سائر القراءات التي تخالف الكتاب، ولم يلتفتوا إلى مذاهب العربية فيها إذا خالف ذلك خط المصحف، وإن كانت العربية أظهر بيانا من الخط، ورأوا تتبع حروف المصاحف وحفظها كالسنن القائمة التي لا يجز لأحد أن يتعداها". (ابن كثير، 1995، صفحة 361)

2. به يكون القارئ على يقين أن القرآن الذي يقرؤه هو الذي أنزله الله على نبيه دون أي خلل؛ لأن المصاحف العثمانية استندت إلى صحف أبي بكر التي جُمعت من الصحف التي كتبت بين يدي النبي.

كما فيه حمل الناس على أن يتلقوا القرآن من صدور المشايخ، ولا يتّكلوا على الرسم الذي جاء غير مطابق للنطق في بعض الكلمات، مما يفيد في التوثق من ألفاظ القرآن وطريقة أدائه وحسن ترتيله وتجويده، وأيضا اتصال السند برسول الله الذي هو خاصّة من خصوصيات هذه الأمة على غيرها.

3. يتوصّل بعلم رسم المصاحف إلى معرفة اختلاف القراء في بعض الأحرف، وهو باب مهم في القراءة، ولهذا نجد كتب القراءات وشرّاح الشاطبية خصّت بابا لذكر مرسوم المصاحف. (سليمان بن نجاح، 2002، صفحة 09)

قال ابن القاصح:" يحتاج القارئ إلى معرفة الرسم في ذلك، فيقف بالحذف على ما رسم بالحذف، وبالإثبات على ما رسم بالإثبات". (لبن القاصح، 1954، صفحة 127)

4. الدلالة على بعض اللغات الفصيحة؛ ككتابة هاء التأنيث تاء في لغة طيء، ومثل حذف آخر الفعل المضارع المعتل لغير جازم في لغة هذيل؛ نحو{يوم يأتِ}[هود: 105]، {قال ذلك ما كنّا نبغِ}[الكهف:64].

5. الدلالة على أصل الحركة؛ كزيادة الياء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَد جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلمرسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] للدلالة على الكسرة، وزيادة الواو في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُم دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: 145] للدلالة على الضمة حيث أن المصاحف رسمت خالية من الهمز والتنقيط والحركات.

وكذا الدلالة على أصل الحرف، ككتابة (الصلاة) بالواو بدلاً من الألف في: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: 3] للدلالة على أن أصل الحرف هو الواو في كلمة: (الصلوة)، وكتابة الألف ياء لدلالة على أنها من ذوات الياء فيميلها من مذهبه الإمالة نحو: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى: 1].

6. علم الرسم يمكّن من فهم خصائص الكتابة العربية وتطورها والذي انبنى عليها تراثنا العلمي والحضاري، وقد كان للرسم المصحفي أثر كبير في بلوغ الكتابة العربية هذه الدقة في تمثيل أصوات اللغة، كما استفاد اللغويون والنحاة من الرسم العثماني واحتجوا به خاصة المشتغلين منهم بالقراءات، فكثير من الكتابة مبني على أصول نحوية ففي بيانها لتلك الأصول ككتابة الهمزة على نحو ما يسهل به وهو باب من النحو كبير. (السيوطي، 1998، صفحة 186)

7. كما يرتبط برسم المصحف علم الضبط؛ الذي هو علامات ضرورية ترشد القارئ إلى النطق السليم كنُقط الإعجام، وعلامات الشّكل، وعلامة الهمزة، وكيفية ضبط الأحكام التجويدية.

وقد أجمع علماء السلف والخلف على وجوب المحافظة على رسم المصاحف العثمانية فيما ينسخ

ويطبع من المصاحف (مكي بن أبي طالب، صفحة 42)، لا لأنه توقيف، إذ لم يثبت ذلك بنص، (الباقلاني، 2001، صفحة 549) ولكن لأنه أصبح ركنا من أركان القراءة الصحيحة، (الجزري، صفحة 09)ولا بأس بكتابته على قواعد الإملاء–عند جمع من المعاصرين– في غير المصاحف كالتدريس والصحف ونحو ذلك. (مصطفى ديب البغا، 1998، صفحة 97)

ويذهب بعض أهل العلم" أن رسم القرآن سرّ من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة، وهو صادر عن النبي ، وليس للصحابة ولا غيرهم في رسم القرآن شعرة واحدة، وإنما بتوقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها ونحو ذلك، لأسرار لا تهتدي إليها العقول إلا بفتح رباني، وهو سر من الأسرار التي خصّ الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فكما أن نظمه معجز، فرسمه معجز أيضا" (عبد العزيز الدباغ، 1316، صفحة 50)

3. المدارس القرآنية مفهومها نشأتها وأهميتها

3.1 تعريف المدرسة القرآنية

المدرسة في اللغة بمعنى مكان الدّرس والتعليم، ويقال: هو من مدرسة فلان، أي: على رأيه ومذهبه، (مجمع اللغة العربية، صفحة 280) ودرس الكتاب يدرسه درسا؛ ذلله بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليه من ذلك (الزبيدي، صفحة 65)، ودرست العلم: تناولت أثره بالحفظ، ودرس الدار: بقي أثرها. (الأصفهاني، 1412، صفحة 311)

وأما في الاصطلاح فقد كان يطلق عليها قديما " الكتّابّ"، وهو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن. (ابراهيم مصطفى، صفحة 775)

والكتاتيب في لغة العرب مفردها الكُتّاب، والكتَبة، والمِكتب: واحد، والجمع: الكتاتيب والمكاتب، وكتب: أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء. (الرازي، 1999، صفحة 266)

والمدرسة القرآنية: هي مؤسسة علميّة تربوية، كان التعليم فيها ولا يزال مرتكزا على تحفيظ النشء

لكتاب الله تعالى، ومساعدة المتعلّم على تعلّم القراءة والكتابة والأخلاق، وترسيخ أصول الدين والقيم الإسلامية. (طالب عبد الرحمن، 1983، صفحة 48)

ويطلق عليها في كثير من ربوع الجزائر" الزاوية" جمعها الزوايا، وهي مشتقة من الفعل" انزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من" زوى" و" أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل، (ابن منظور، 1414، صفحة 363) سمّيت بذلك لأن الذين بنوها أول مرة من المتصوفة والمرابطين قصدوا بها الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب الحياة للتفرغ للذكر والعبادة والتأمل والرياضة الروحية.

ويطلق اسم الزاوية ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد غير الجامع، وهي مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، وهي تختلف حسب وظائفها ونشاطها. (محمد نسيب، صفحة 27)

والمدرسة القرآنية يجلس فيها التلميذ إلى شيخه(معلمه) ويقرأ عليه القرآن بهدف حفظه إما من المصحف أو لوحة خشبية، يكتب عليها آيات من القرآن من إملاء شيخه ويصححها له الشيخ على وفق قواعد الرسم، ثم يكرّر قراءتها حتى يحفظها على ظهر قلب، ثم يستظهر ما حفظه على شيخه، وهكذا يتم الحفظ.

والأدوات المستعملة في الكتّاب: **اللّوح**: ويكون من الخشب، **والقلم**: ويُستخلص عادة من القصب، يُبرى بشيء حاد، ويُشق في ناحية رأسه حتى يجري فيه المداد، **والصّمغ**: يُستورد ويحرق ويوضع في دواة(المحبرة) ومعه شيء من الصّوف والماء حي يصير حبرا صالحا للكتابة. (محمد رشيد بوغزالة، 2015، صفحة 223)

3.2 نشأة المدارس القرآنية في الجزائر

ترتبط نشأة المدارس القرآنية بأهمية القرآن الكريم والحرص على تعلّمه، وتبدأ جذوره من أول نزول للقرآن الكريم والوحي على محمد، حيث كان معلّمه الأول جبريل عليه السلام حينما أمره بالتعلم وهداه إلى وسائله ومفرداته وهي: القراءة، والقلم، والمعلِّم، والمتعلم، وموضوعات العلم، وذلك في قوله تعالى:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}[العلق: 1-5].

وكان الرسول أوّل المعلّمين لهذه الأمة؛ كما قال تعالى:{ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ}[الجمعة:2].

ويُذكر أن أول من جمع الأولاد للتعلّم في الكُتّاب هو عمر بن الخطاب؛ إذ أمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه من بيت المال. (عبد اللطيف دهيش، 1986، صفحة 15)

ثمّ استمر المسلمون على هذه الحال واتبعوا هذه السنّة في تعليم الأولاد، وممن اشتهر بالتعليم: الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان معلّما ومؤدبنا للصبيان في الطائف؛ يحفّظهم القرآن، والضّحاك بن مزاحم حيث كان مؤدبا للصبيان في أحد كتاتيب الكوفة، وقد كان كُتّاب أبي القاسم البلخي يحوي ثلاثة آلاف تلميذ، وقال عنه ابن عساكر:" اشتغل بتأديب الصبيان فحسن أثره في ذلك، وظهر له اسم في إجادة التّعليم، والحذق بالحساب، حتى كثر زبونه". (حسن أبو غدة، 2009، صفحة 01)

ويعد القرن الخامس الهجري فاتحة عصر جديد لنظام التعليم والمدارس في الإسلام، حيث كان بداية لاحتضان الدولة لفكرة المدرسة واتخاذها مركزا لنشر العلم الشرعي.

أما المغرب العربي فقد ارتبط التعليم القرآني منذ الفتوحات الإسلامية إلى يومنا هذا بالمؤسسات التعليمية العتيقة، التي أسّسها الفاتحون المسلمون، أمثال عقبة بن نافع، وحسّان بن النعمان، الذين قاموا بتعليم سكان البربر وتعاليم الإسلام. (خالد عبد الكريم، صفحة 02)

والشواهد تدلّ على شدة عناية أهل المغرب الأوسط-الجزائر- بالتعليم القرآني حيث كثر حفاظه، وانتشرت في ربوع البلاد المساجد والمحاضر، والكتاتيب والزوايا القرآنية، وظهر فيها أفذاذ في مختلف العلوم والفنون، كرّسوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الثقافة بين أقطار المغرب العربي. (مهدي دهيم، 2013، صفحة 106)

وقد حفظت كتب السير أسماءهم وسطّرت أمجادهم من مثل: الإمام أبو القاسم الهذلي البسكري، ومحمد شقرون الوهراني(ت929هـ)، ومحمد أبو القاسم البوجليلي(ت1898م). (عبد الله غلام الله، 2013، صفحة 59 61)

وأما بالنسبة للمدارس الرسمية فقد أسست عدة مدارس مهمتها العناية بأبناء السلاطين وتكوين مستخدمي الدولة كمدرسة سبتة(سنة635هـ)، والمدرسة الشماعية بتونس(سنة633هـ-647هـ)، ومدرسة ابني الإمام بالجزائر، وهما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا محمد بن عبد الله. (عبد القادر بوحسون، 2008، صفحة 103)

ولقد استمر بناء المدارس القرآنية وتشييدها عبر العصور من طرف العلماء والحكماء وعامة الناس حيث ازدهرت وامتلأت بها المدن والقرى، وفي هذا يقول الدكتور سعد الله:" فقد كثرت في الجزائر المدارس

الابتدائية حتى كان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف، بل أنها كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، وهذا ما جعل جميع الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس، وانتشار التعليم وندرة الامية بين السكان...وكانت تلمسان عاصمة الدولة الزيّانية قبل مجيء العثمانيين قد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء". (أبو القاسم سعد الله، 1998، صفحة 274)

وأما القراءة المعتمدة في التعليم في المغرب العربي فأولى القراءات كانت رواية هشام من قراءة ابن عامر استمرت قرنا بعد الفتح، ثم قراءة حمزة أدخلها الوافدون مع ولاة بني العباس، ويعتبر الغازي ابن قيس هو أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس ومنه انتشرت في بلاد المغرب. (محمد رشيد بوغزالة، 2015، صفحة 307)

3.3 أهمية ودور المدارس القرآنية

تحتل المدارس القرآنية مكانة شريفة في المجتمعات الإسلامية بعامة والجزائرية بخاصة، وذلك لما تحتلّه من دور فعّال ومهم في تربية النشء السوي على القرآن الكريم والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، وتعليم اللغة العربية والكتابة ومبادئ العلوم والحساب، وتحفيظ القرآن، كما تساهم بشكل رئيسي في المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات بقائها واستمراريتها من خلال ثقافتها العربية والإسلامية، كما عملت هذه المؤسّسة على تحصين المجتمع من آثار الاستعمار الفرنسي، وقد كان معظم قادة المقاومة والثورة الجزائرية خرّيجي هذه المدارس، كما لا تزال تمثّل الحصن الحصين ضد الغزو الفكري، والانحلال الأخلاقي.

وقد كسبت هذه المؤسسة شعبيتها لإمكانية التعليم فيها لجميع فئات المجتمع، كما أثبتت هذه المؤسسة نجاعتها وثمارها في تلك التحديات التي واجهتها والمهمة التي أُنيطت بها رغم بساطتها ويسر نفقاتها، حيث كان تستخدم أجهزة متواضعة كالحُصُر والقاعات، ووسائل تعليمية زهيدة كاللّوحة والحبر وأدوات المحو التي يمكن العثور عليها في البيئة المحلية.

وقد عرفت طريقتها التربوية التعليمية نجاحا باهرا، وتوفيقا كبيرا، بدليل أنه تخرّج منها علماء أجلّاء، ودعاة بارزين، وحفظة متقنين للقرآن الكريم.

3.4 مظاهر عناية المدارس القرآنية بالرسم العثماني

من عوامل نجاح المدارس القرآنية أنها كانت تعتمد نظاما معينا وبرنامجا خاصا في عمليتها التعليمة

والتربوية، فالمدارس الصّغرى كان تركّز على تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة، ومنها ما يزيد على ذلك بتعليم المبادئ الأولى في الفقه والتوحيد والسيرة والنحو، أما المدارس الكبرى فتكون أكثر عمقا وأوسع في التعليم، كما هو الحال في الزوايا، حيث يدرس الطلاّب فيها كتبا وعلوما أكثر.

وقد كانت أوقات الدراسة تشمل الأسبوع غالبا إلا ما كان من عطل أسبوعية وأعياد دينية، يبدأ الأطفال يومهم الدراسي مبكرا بحفظ القرآن من بعد صلاة الفجر إلى الضحى، ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظّهر، ثم ينصرفون إلى بيوتهم لتناول الغداء، ثم يعودون بعد صلاة الظهر إلى العصر يدرسون فيها بقية المواد الأخرى كالنحو والحساب والعربية والشعر والتاريخ. (لخضر عبدلي، 2005، صفحة 92)

وعمدة التعليم في المدارس القرآنية المعلّم فهو الذي يتولّى المهام السابقة، فيشترط فيه أن يكون حافظا للقرآن كله عن ظهر قلب، مع معرفته ببعض الأحكام والعلوم القرآنية كالرّسم، والتجويد، ومبادئ الفقه والنحو، كما يشترط فيه أن يتمتّع بصفات حميدة وأخلاق فاضلة لأنه القدوة الحسنى للأطفال والمثل الأعلى لهم، بل للمجتمع كلّه، الذي ينظر إليه نظرة تقدير واحترام وتبجيل، ويعتقدون فيه أنه رجل العلم الذي يرجعون إليه في حل مشكلاتهم، والصلح فيما بينهم. (علي أجقو، 2005، صفحة 25)

وأما الوسائل التعليمية فهي رغم قدمها والمحافظة على نهجها إلا أنها لا تزال تثبت نجاعتها في التعليم القرآني، ومن تلك الوسائل: اللّوح، الصلصال، الصّمغ، الأقلام القصبية، الدّواة، المصحف الكريم أو جزء منه، كتب صغيرة في الفقه والنحو والسيرة والتوحيد، وأُدخلت حديثا السبورة والطباشير، وذلك في بعض الكتاتيب يستعين بها المعلّم على تعليم الحروف الأبجدية، كما استعملت بعض الدفاتر لنقل بعض الأحكام في الرسم القرآني، أو بعض الآيات، أو قواعد نحوية وصرفية، وبعض الفوائد الحُكمية، وبعض الأدعية والأذكار. (بوجمعة حمداوي، 2010، صفحة 26)

ولقد اهتم المغاربة بعلم الرسم اهتماما بالغا وأولوْه عناية خاصة، لما رأوا من واجب الحفاظ عليه، وضرورته لحافظ القرآن، وأن اتقان الرسم ينبغي أن يواكب حفظ القرآن، ولا يضر إذا تأخر عنه قليلا. (ابراهيم الوافي، 1999، صفحة 48)وفيما يلي مظاهر عناية المدارس القرآنية بعلم الرسم العثماني.

- **التكتيب والتصحيح**

ويقصد بها كتابة الطلاب للقرآن على ألواحهم، وهو ما تميّزت بها المدرسة المغاربية في تحفيظ القرآن وتلقين الرسم العثماني، حيث تساعد الكتابة على ضبط الحفظ، فتتشارك حاسة النظر ومهارة الكتابة مع

السمع في ضبط الحفظ واتقانه، كما يتدرّج الطلب في ضبط رسم الكلمات منذ بداية مسكه للقلم وكتابته في اللوح، ويتدرّج أيضا في ضبط الرسم.

وأما التصحيح في الكتاتيب فتعد من الأسس العلمية المؤثرة في تعليم القرآن والرسم العثماني، وتشمل تصحيح الحفظ، وتصحيح الكتابة في الألواح، حيث يقوم الشيخ بتصحيح الألواح وتنبيه المتعلمين إلى الأخطاء التي قد يرتكبونها في المتن أو الرسم، حتى يحفظ من اللوح النص الصحيح، ويتمرّن على هيئة الكلمات القرآنية، ويضبط الرسم العثماني بتدرج.

وبعد مرحلة الختم يستظهر المتعلم القرآن أكثر من مرة، مما يعني تمكّنه من مادته الكتابية والقرائية، ويصبح أقل اعتمادا على المعلم في إملائه هذا المكتوب عليه، وقد يأخذ في كتابة لوحه من تلقاء نفسه، ويتوجّه في هذه المرحلة إلى التعرف على القواعد الإملائية الشكلية والتصويرية المعتمدة في رسم كلمات القرآن الكريم بأحرفها التي قد تتباين مثلا في رسمها بصفتين مختلفتين على مستوى الكلمة الواحدة في موضعين مختلفين؛ ك(نعمة)و(رحمة)؛ مما تُكتب التاء عنده مربوطة وتكتب أيضا مفتوحة في مواضع، إلى الثابت والمحذوف من الكلمات ،والموصول ببعضها والمفصول، إلى تصوير الهمزة ومواضع تسهيلها، ومواضع الترقيق والتفخيم من الكلمات بشروطها، فيصبح لوح التلميذ حينئذ يُرقّى في وضعه إلى رتبة طالب؛ مملوء بما يُصطلح عليه بـ(النظم)، ويصبح همه في هذه المرحلة ضبط أحوال ألفاظ القرآن وجمله بحفظ المنظومات كذلك التي تعمل على إحاطته بدقائق الرسم القرآني، والطالب في هذه المرحلة يجد معلمه فيه عونا وسندا على من هم دونه، وقد يُنيبه عنه في حال تغيّب طارئ إذا رأى فيه ما يؤهله لهذه الثقة. (عيسى بن ناصر الدريبي، 1433، صفحة 645)

– الأنصاص والرموز والحِطّيات

الأنصاص كلمة مغربية تستعمل على شكل جمع أو مفرد "نص"، وهو جمع قلة على وزن أفعال، وهو مصطلح متداول بين أرباب القراءات في المغرب العربي للتعبير عن مجموعة من القواعد المنظومة في أراجيز مختصرة أو مطولة ينظمها الشيوخ لتلاميذهم، والتي تؤطر الكلمات الخارجة عن القياس في رسمها أو ضبطها أو كيفية أدائها، كما تؤطر هذه الأنصاص الكلمات المتشابهة في التقديم والتأخير والحذف والإضافة مع التنصيص على أماكن وجودها في القرآن الكريم، إما بواسطة السور أو الأحزاب والأرباع والأثمان. (عبد العزيز العيادي، 2006، الصفحات 99-100)

وأما تاريخ ظهورها فقد أرجعها بعضهم إلى المائة السادس بالأندلس، في حين ذهب آخرون أن

بدايتها كانت قبل ذلك بنحو مائتي سنة في كتاب التنزيل في رسم المصحف لأبي داود سليمان بن نجاح تلميذ أبي عمرو الداني. (سعيد أعراب، 1990، صفحة 170)

ومن الأمثلة على ذلك: النص المنظوم لضبط رسم كلمة(لكيلا) ومتى تكتب متصلة هكذا(لكيلا) فيذكر مواضعها، وبالتالي ما عداه تكتب منفصلة هكذا(لكي لا).

قال الناظم:

تصعدون الحج نكحتم ألم يأن لكيلا بالاتصال دال عددهم

فصل لكي لا قُطعت في النحل وأول الأحزاب ثم الحشر

ويقول الناظم في نص متعلق بالضبط في مواضع كتابة نقطة التسهيل تحت الياء في الهمزة الثانية المكسورة بعد همزة قطع، والباقي تكتب على السطر:

ونقطة التسهيل تحت الياء سبعة أحرف بلا امتراء

أين أينَّكم كذا أينا أيفكا أيمة وزد أين

وإذا المزن خصصه مفرا والباقي في السطر حقق ما قيدا

أما الرموز فهي تقنية ابتدعها الحفاظ لتقييد العديد من الكلمات والمواضع الخاصة برسم القرآن وحفظه، كضبط المتشابه في ختام قوله تعالى من سورة النمل:{أءله مع الله} فقد جمعوا حروفه في قولهم" بِبَقتق".

وأما الحِطّية فمفردة جمعها الحطّيات وهي أيضا تقنية ابتدعها الحفاظ لإحصاء ما ورد في القرآن من الجوانب اللفظية لضبط المتشابه والرسم والضبط.

– نسخ المصاحف وخطها

من صور العناية بالرسم العثماني خط المصاحف، حيث أظهر المغاربة عنايتهم بذلك لما عرفوا من احتفائهم بالمصحف الشريف، وانتشر الخط العربي ببلاد المغرب بالموازاة مع انتشار تعاليم الإسلام وإقبالهم على القرآن الكريم، حيث عمل الخطاطون على تحسين كتابة المصاحف واتقان خطوطها وزخرفتها وتذهيبها، ولم يقتصر ذلك عليهم، بل كان الشيخ إذا التمس من الطالب التمكن وبلوغ الذروة في الحفظ والضبط يطلب منه محاولة نسخ المصحف، ليثبت أكثر في علم الرسم، ولتوفير مزيد من المصاحف لقلتها.

4. أثر العناية بالرسم العثماني على التعليم القرآني

التعليم هو عملية نشطة، تعتمد على الخبرة الواقعية، وتتصف بالمرونة، والقابلية للتعديل حسبما تقتضيه مجريات الموقف التعليمي، وهو أيضا عملية صقل وبناء إنساني يتطلب بذل جهد وإعمال فكر؛ إذ يدل على مرحلة تعليمية تتم بواسطتها ترجمة المنهج المتبع في تقديم المعارف إلى سلوك واقعي؛ فهو إذن مجموع الأفعال التواصليّة التي توظّف من قبل المعلم. (رحموني العيدية، 2013، صفحة 11)

وعرّفه المناوي:" التعليم تنبيه النّفس لتصوّر المعاني، والتعلم تنبه النّفس لتصوّر ذلك، وربّما استعمل في معنى الإعلام، لكن الإعلام اختصّ بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلّم". (عبد الرؤوف المناوي، 1990، صفحة 102)

ولقد كان للمناهج التعليمية والتربوية في المدارس القرآنية أثرها الحسن والإيجابي في عملية التعليم القرآني من خلال منهج الأخذ والتلقي والعرض، حيث يعتبر التلقي والتلقين من الشيخ للتلميذ أصل من أصول تعلم القرآن وحفظه، حيث يملي الشيخ على تلميذه وهو ما يسمى في الكتاتيب الجزائرية بالتكتيب أو الإملاء، ثم يقرأ الشيخ والطالب يسمع، ثم يعرض الطالب على شيخه إما من اللوح المصحح أو من حفظه، وبهذا يتحقق للطالب في الكتاتيب أعلى درجات الضبط والاتقان.

ولعلم الرسم أثر ودور هام في عملية التعليم القرآني، إذ يربط الطالب بتاريخه الإسلامي العلمي في جانبه المتعلق بالخط العربي، وكيف تطور رسمه الإملائي وعلاقته بالرسم العثماني، كما يتبيّن له شدة عناية المسلمين بالمصحف من حيث الكتابة والتذهيب والتجليد وغير ذلك.

1.4 أثر علم الرسم في تعلم الخط والكتابة واتقان المحفوظ

يبيّن ابن خلدون أهمية ودور الخط والكتابة ويدخل في ذلك الرسم، حيث يقول:" إن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية وهي رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهي ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهي صناعة شريفة، إذ أن الكتابة من خواص الإنسان التي يتميّز بها عن الحيوان". (ابن خلدون، 1986، صفحة 338)

وعلم الرسم يمنح الطالب القدرة على الكتابة والإملاء ويتدرج في ذلك إلى حد الاتقان؛ مما يساعده في ضبط القرآن واتقانه، ذلك لأن الكتابة نائبة عن القراءة، فاللحن فيها لحن في القرآن الكريم، وفي اتباع الرسم تأمين لذلك.

ففي التزام هذا الرسم واتباعه الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله لفظا وكتابة، لأن في كتابته على غير الرسم الواحد تعريض القرآن الكريم للتغيير المستمر حسب تغيّر القواعد الإملائية؛ مما قد يؤدي

إلى الاختلاف في نصوص القرآن ويمهد الطريق لأعداء القرآن لتحريفه. (لبيب سعيد، 1957، صفحة 384)

ومن أثر الرسم في الحفظ ما ذكرناه سابقا في بيان درجة الرسم العثماني في سلم التعليم القرآني حيث يمثّل الرسم مرحلة محورية في عملية التكتيب والتصحيح والتي تسبق محاولة الطالب لحفظ لوحته وضبطها، ثم تأتي مرحلة الختم والتي يتفرّغ الطالب فيه للوصول إلى أعلى درجات الضبط والحفظ والاتقان للقرآن الكريم، حيث يعيد كتابة القرآن على لوحته مستغنيا في ذلك عن شيخه ومعتمدا على حفظه، مطبّقا في كتابته ضوابط الرسم العثماني.

2.4 أثر علم الرسم في معرفة التجويد والقراءات

حيث يساهم الرسم العثماني في الدلالة على ما في الكلمة من أوجه القراءات المتعددة؛ وذلك لأن رسم المصحف روعي فيه تحمله لأوجه القراءات المتعددة، إما موافقة تحقيقية، أو موافقة احتمالية.

أما الموافقة التحقيقية والتي يسميها ابن الجزري الموافقة الصريحة، فهي التي يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في بعضها.

وهذه الموافقة لها صور: الأولى: أن يكون للكلمة وجه واحد في القراءة موافق للرسم، والثانية: أن يكون للكلمة في اللفظ أكثر من قراءة ويحتملها رسم واحد كتبت به نحو " فتبينوا" وفي قراءة "فتثبتوا"، ومنها ما لا يحتمله رسم واحد، وهذه ثلاث وثلاثون كلمة وزّعت على المصاحف العثمانية حسب ما ورد فيها من قراءات (محمد خازر المجالي، 2004، صفحة 89)، نحو قوله تعالى:{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم}[آل عمران: 133]، ففيها قراءتان بإثبات الواو وبحذفها، والصورة الثالثة: أن يكون للكلمة في اللفظ أكثر من قراءة ولكنها لم ترسم إلا على وجه واحد من تلك الوجوه الملفوظ بها(وهي الموافقة الصريحة)مع تحمله لباقي الوجوه(وهي الموافقة الاحتمالية) مثل قوله تعالى:{ ملك يوم الدين}، فقد رسمت{ ملك} في كل المصاحف بغير ألف، فمن قرأ بغير ألف فقراءته موافقة للرسم تحقيقا، ومن قرأ{ مالك} فهي موافقة للرسم احتمالا. (ابن الجزري، 1998، صفحة 242)

كما أن في المحافظة على الرسم حمل الطلاب والناس عامة على تلقي القرآن من أفواه القرّاء والحفّاظ المتقنين؛ إذ به أحكام في التلاوة لا تؤخذ إلا عن طريق التلقي؛ مثل الإدغام والإقلاب والروم والإشمام وإلى غير ذلك، وحتى لا يدخل قراءته تحريف والقارئ لا يدري، إذ الفهم الصحيح متوقف على النطق السليم.

3.4 أثر علم الرسم في المعاني القرآنية

لا يخفى ما لمعرفة معنى الآيات القرآنية من أهمية، إذ أن علم القرآن غايته إقامة حروفه ومعانيه، والغاية من كل ذلك العمل به، ولهذا كان من متطلبات التعليم القرآني فقه القرآن الكريم ومعرفة مراد الله من كلامه وخطابه لخلقه، وعلم الرسم يساهم في تجلية بعض المعاني القرآنية وبيان المراد منها، والدلالة على المعاني الدقيقة فيها.

مثال ذلك: زيادة الياء في كتابة كلمة" أيد" من قوله تعالى:{والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون}[الذاريات:47]، إذ كتبت بياءين وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله تعالى التي بنى بها السماء، وأنها لا تشبهها قوة؛ إذ أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. (الزرقاني، 1998، صفحة 367)

ومثل زيادة الألف في قوله تعالى:{ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}[الفجر: 23]، وقوله تعالى:{ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّنَ وَٱلشُّهَدَآءِ}[الزمر: 69]، فإن كلمة(جيء) رسمت في الموضعين بزيادة ألف بين الجيم والياء؛ وهذه الزيادة تومئ إلى التهويل والتفخيم والوعيد والتهديد وأنه مجيء ليس على ما يعهد البشر فجاء الرسم لذلك غير ما يعهدون. (مجمع البحوث، صفحة 161)

وكزيادة الألف بعد الفعل المعتل الآخر في قوله تعالى:{ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}[الشورى: 30]، فقد زيدت الألف بعد الفعل{يعفو} للإشارة إلى كثرة عفو الله تعالى واستمرار عفوه.

وأما مثال الحذف؛ كتابة الأفعال الأربعة بغير واو مع أن القاعدة النحوية واللغوية كتابتها وهي: " يدعو" في قوله تعالى:{ ويدع الإنسان بالشّر دعاءه بالخير}[الإسراء:11]، و" يمحو" في قوله تعلى:{ ويمح الله الباطل}[الشورى: 24]، و" يدعو" في قوله تعالى:{ يوم يدع الداع إلى شيء نكر}[القمر:6]، و" سندعو" في قوله تعالى:{ سندع الزبانية}[العلق:18]، وإنما كتبت بدون واو لسرّ دقيق كما ذكر أبو العباس المراكشي" للتنبيه على سرعة وقوع الفعل، وسهولته على الفاعل، وشدة المنفعل المتأثر به في الوجود..." (الزركشي، 2001، صفحة 387). ثمّ فسّر ذلك في كل آية.

ومثال الإبدال؛ كلمة(امرأة) حيث وردت في القرآن إحدى عشر مرة، رسمت في أربعة مواضع بالتاء المربوطة، وفي الباقي بالتاء المبسوطة، فالمربوطة جاءت غير مضافة لزوجها، كما لها دلالة عامة على واحدة غير معينة من النساء؛ كقوله تعالى:{ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا}[النساء: 127]، وأما المبسوطة كقوله تعالى:{ إذ قالت امرأت عمران}[آل عمران: 35] فجاءت مضافة لزوجها، قال السخاوي: كل امرأة مع زوجها فهي ممدوة". (السخاوي، 2003، صفحة 448)

ومثال الهمز؛ رسم الهمزة بكلمة(الضعفاء)، حيث كتبت في موضعين بالرسم القياسي في قوله تعالى:{ وله ذرية ضعفاء}[البقرة:265]، وقوله{ليس على الضعفاء ولا على المرضى}[التوبة: 92]، وفي موضعين آخرين بالرسم الاصطلاحي؛ في قوله تعالى:{وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ}[إبراهيم:23]، وقوله تعالى:{ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ}[غافر:47]، يشير للفرق بين الضعف الحقيقي المذموم والضعف الحسي غير المذموم.

فهذه بعض النكت اللطيفة البديعة التي نبّه عليها بعض العلماء ليفتحوا المجال أمام الباحثين ليدققوا النظر في البحث عن أسراره، ومعرفة بعض أوجه إعجازه من خلال رسمه.

ومن أثر الرسم أيضا على المعاني القرآنية أن الكلمة تكتب بطريقتين مختلفتين لتدل في كل موضع على معنى مخالف للآخر، من ذلك (أم) في قوله تعالى:{ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا}[النساء: 109]، ووصلها في قوله تعالى:{ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[الملك: 22]، إذ كتبت هكذا{أمَّن} بإدغام الميم الأولى في الثانية، وكتابتها ميما واحدة مشددة، فقطع{أم} الأولى في الكتابة للدلالة على أنها" أم" بمعنى "بل" ووصل" أم" الثانية للدلالة على أنها ليست كتلك. (أبو شهبة، 1992، الصفحات 315-317)

وهذه الأمثلة تندرج ضمن التوجيه المعنوي لظواهر الرسم العثماني وهو نوع من الأنواع، ومن الأنواع الأخرى؛ التوجيه اللغوي، والتوجيه الفلسفي، والتوجيه بمناسبة رؤوس الآي، والتوجيه بأوجه القراءات، والتوجيه بالمحاذات. (العبادلة، 1435)

5. خاتمة:

بعد هذه الجولة العلمية في المدارس القرآنية الجزائرية ومناهجها التعليمية والتربوية ودورها الفاعل في الحفاظ على علم الرسم القرآني وتلقينه للأجيال نصل إلى نهاية هذا البحث المختصر حيث ندوّن في آخره أهم نتائجه مجيبين على إشكاليته في النقاط الآتية:

1. ارتبطت المدارس القرآنية في الجزائر بثوابت الأمة والهوية الوطنية، والتي سعى الاحتلال الفرنسي إلى تغييرها بما أوتي من قوة، وقد كان القرآن الكريم أساس هذه الهوية ومرتكزها الانتمائي والسلوكي؛ حيث

ركّزت المدارس القرآنية على تحفيظ القرآن الكريم وتلقين العلوم المرتبطة به، وترسيخ قيمه الأخلاقية والسلوكية والعقائدية، والتي كان لها أثرها على بناء الشخصية الوطنية والثبات عليها والاعتزاز بها.

ومن العلوم التي اهتمت بها المدرسة القرآنية الجزائرية والتي ارتبطت بتحفيظ القرآن الكريم تلقين وتعليم الرسم العثماني.

2. المقصود بالرسم العثماني ما كتبه الصحابة في المصاحف بأمر عثمان، وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي، وأما علم الرسم فيعرّفه علماء الفن بأنه علم يعرف به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم، من حذف وزيادة وبدل وفصل ووصل، ونحو ذلك.

3. ترجع نشأة علم الرسم إلى ظهور الكتابة العربية، وما كُتب من القرآن بين يدي النبي ﷺ، ثم الجمع الأول لأبي بكر الصديق، ثم الثاني في عهد عثمان والذي وحّد الناس على مصحف وحد ورسم خاص يستوعب القراءات الثابتة فنسب إليه.

4. لعلم الرسم أهمية بالغة وفوائد جليلة، إذ تعتبر موافقة الرسم العثماني كشرط في القراءة الصحيحة، وضبط هجاء المصاحف، كما له أثره في معرفة اختلاف القراء في بعض الأحرف، وأيضا على القراءة، كما له دوره في المحافظة على سنة تلقي القرآن من أفواه المعلمين.

5. المدرسة القرآنية هي مؤسسة علميّة تربوية، كان التعليم فيها ولا يزال مرتكزا على تحفيظ النشء لكتاب الله تعالى، ومساعدة المتعلّم على تعلّم القراءة والكتابة والأخلاق، وترسيخ أصول الدين والقيم الإسلامية.

6. ترتبط نشأة المدارس القرآنية بأهمية القرآن الكريم والحرص على تعلّمه، وتبدأ جذوره من أول نزول للقرآن الكريم والوحي على محمد ، وتعليم النبي والصحابة لغيرهم، ثمّ استمر المسلمون على هذه الحال واتبعوا هذه السنّة في تعليم الأولاد في مختلف الأقطار الإسلامية، وارتبطت في المغرب العربي بالفتوحات الإسلامية، واستمر بناء المدارس القرآنية وتشييدها عبر العصور من طرف العلماء والحكماء وعامة الناس حيث ازدهرت وامتلأت بها المدن والقرى.

7. تحتل المدارس القرآنية مكانة شريفة في المجتمعات الإسلامية بعامة والجزائرية بخاصة، وذلك لما تحتلّه من دور فعّال ومهم في تربية النشء السوي على القرآن الكريم والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، وتعليم اللغة العربية والكتابة ومبادئ العلوم والحساب، وتحفيظ القرآن، كما تساهم بشكل رئيسي في المحافظة على الإطار العام للشخصية الوطنية، وذلك بالحفاظ على أهم مقومات بقائها واستمراريتها من خلال ثقافتها العربية والإسلامية، كما عملت هذه المؤسّسة على تحصين المجتمع من آثار الاستعمار الفرنسي، وقد كان معظم قادة المقاومة والثورة الجزائرية خرّيجي هذه المدارس، كما لا تزال تمثّل الحصن الحصين ضد الغزو الفكري، والانحلال الخلقي.

8. اهتمت المدارس القرآنية الجزائرية بعلم الرسم اهتماما بالغا وأولته عناية خاصة، لما رأت من واجب الحفاظ عليه، وضرورته لحافظ القرآن، وأن اتقان الرسم ينبغي أن يواكب حفظ القرآن، ولا يضر إذا تأخر عنه قليلا، ومن مظاهر هذه العناية؛ التكتيب والتصحيح، وابتداع طرق لضبط الرسم وهي الأنصاص والرموز والحِطّيات، وتحفيظ وتدريس متون علم الرسم، والتشجيع على نسخ المصاحف وخطها.

9. لقد كان للعناية بعلم الرسم أثر بليغ على التعليم القرآني يظهر ذلك في أثره على تعلم الخط والكتابة واتقان المحفوظ من القرآن، وأيضا في معرفة واتقان التجويد والقراءات، والوقوف على المعاني القرآنية الدقيقة والنكت اللطيفة.

6. قائمة المراجع:

مكي، بن أبي طالب، الإبانة عن معاني القراءات، دار النهضة، مصر.

الدباغ، عبد العزيز بن مسعود، (ـ 1316) ، الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، المطبعة الميمنية، مصر.

السيوطي، جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، دار الفكر.

المخللاتي، رضوان بن محمد بن سليمان، (2007) إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية.

الباقلاني، أبو بكر ، (2001،) الانتصار للقرآن، دار الفتح–عمان، دار ابن حزم–بيروت.

العيادي، عبد العزيز، (2006) الأنصاص القرآنية.

الشنقيطي، محمد حبيب الله بن الشيخ الجكني، (1972) إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، مكتبة المعرفة، سوريا.

مجمع البحوث الإسلامية، بحوث قرآنية ، القاهرة.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (2001) البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.

سعد الله، أبو القاسم، 1998 ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي.

حمداوي، بوجمعة، 2010، تطور التعليم القرآني بين الماضي والحاضر، المعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية سيدي عقبة.

الدريبي، عيسى بن ناصر بن علي، 1433هـ، تعليم القرآن في المؤسسات القرآنية وأثره العلمي والتربوي: الكتاتيب القرآنية في المغرب أنموذجا، معهد الامام الشاطبي – مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المجلد 7، العدد 13.

العيدية، رحموني، 2013، تعليمية الصيغ الإفرادية والبنى التركيبية عند اللغويين الجزائريين، جامعة وهران1، الجزائر.

المناوي، عبد الرؤوف، 1990، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة.

سعيد، لبيب،1967، لجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

الزوبعي، محمد خضير مضحي ، 2010 ، جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق.

دهيم، مهدي، 2013 ، جهود علماء الجزائر في القراءات القرآنية؛ منطقة زواوة أنموذجا، بحث مقدم للمؤتمر العالمي الأول للقراءات، تنظيم مركز الإمام أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية المتخصصة، المغرب.

عبدلي، لخضر، 2005 ، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان، الجزائر.

حميتو، عبد الهادي، 2006 ، حياة الكتاب أدبيات المحضرة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط..

الوافي، إبراهيم، الدراسات القرآنية في المغرب في القرن14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

أجقوا، علي، 2005 ، دور الكتاتيب القرآنية الحرة في الحفاظ على القراءة واللغة العربية في الجزائر، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد 49.

أبو غدة، حسن عبد الغني، 2009 ، دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية.

قرماوي، عبد الحي حسين، 2004 ، رسم المصحف ونقطه، مؤسسة الريان، بيروت.

نسيب، محمد، زوايا العلم والقراءة بالجزائر، دار الفكر–سوريا.

ابن القاصح، أبو القاسم، 1954 ، سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

الضباع، علي محمد، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية.

بوحسون، عبد القادر، 2008، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر.

بن سلّام، أبو عبيد القاسم، 1995م، فضائل القرآن، دار ابن كثير، دمشق–بيروت.

أعراب، سعيد، 1990، القراء والقراءات بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

غلام الله، أبو عبد الله، 2013، القراء ومدارس الإقراء في الجزائر، رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، العدد 3.

دُهيش، عبد اللطيف عبد الله، 1986 ، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة..

بوغزالة، محمد رشيد، 2015، الكتاتيب والرّباطات والزوايا منارات التعليم والعربية في بلاد المغرب الأوسط الحقيقة والمنهج، بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

عبد الرحمن، طالب، 1983، الكتاتيب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

بن منظور، محمد بن مكرم، 1414هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

المحالي، محمد خازر، 2004، ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، العدد: 56.

الرازي، محمد بن أبي بكر، 1999، مختار الصحاح، المكتبة العصرية–الدار النموذجية، بيروت–صيدا.

بن نجاح، سليمان، 2002، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية.

أبو شهبة، محمد بن محمد، 1992 ، المدخل لدراسة علوم القرآن، مكتبة السنة، القاهرة.

عيسى، محمد، 1425هـ، مدرسة الإقراء الجزائرية، مجلة الصراط، السنة الخامسة، العدد العاشر.

بن ابي داود ، عبد الله، 2002، المصاحف ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

مصطفى، إبراهيم، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.

الجرمي، إبراهيم محمد ، 2001، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق.

بن فارس، أحمد، 1979، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، 1995، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول.

الأصفهاني، الراغب، 1412هـ، المفردات في غريب القرآن، دار القلم– الدار الشامية، بيروت – دمشق.

بن خلدون، عبد الرحمن، 1986، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت.

الداني، أبو عمرو، المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

العبادلة، حسن عبد الجليل، 1435هـ، مناهج الباحثين في تعليل ظواهر رسم آيات القرآن الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد :17.

الزرقاني، محمد عبد العظيم، 1988، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت .

ابن الجزري، 1998، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، 1998، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت.

البغا، مصطفى ديب، 1998، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب–دار العلوم الإنسانية،

دمشق.

السخاوي، علي بن محمد، 2003 ، الوسيلة إلى كشف العقيلة، مكتبة الرشد، السعودية.